

70

قصص الأنبياء

محمّد

صلى الله عليه وسلم (14)

لصحيفة الظالمة

بتأليف: د. عبد المجيد عبد القادر
وسمى: د. عبد الشافي سيد
إشراف: د. أحمد بن مصطفى





اشتد غيظ قريش وحقدهم على النبي ﷺ ؛ لأنهم
لم يستطيعوا النيل منه بسبب عمه أبي طالب
وحمايته له ؛ ولأنهم فشلوا في إعادة أصحابه الذين
هاجروا إلى الحبشة وعاشوا آمنين في رعاية
النجاشي ..

وزاد غيظهم عندما رأوا أصحاب النبي ﷺ

يكثرون يوماً بعد يوم ، خاصة بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وحمايتهما للمسلمين ..

ولذلك اجتمع سادة قريش ، وزعماء قبائلها ، وخططوا للنيل من النبي ﷺ وعشيرته ، وبعد مشاورات اتفقوا على أن يكتبوا صحيفة يتعاهدون فيها على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ، فلا يتزوجون منهم ، ولا يزوجونهم ، ولا يشترون منهم ، أو يبيعون لهم شيئاً ..

فلما كتبوا الصحيفة علّقوها داخل الكعبة المشرفة ، تؤكداً على أنفسهم ، وتعاهدوا على عدم نقض الصحيفة قبل أن يسلم بنو المطلب محمداً إليهم ..

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم ، وبني المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبه ..

وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد
المطلب ، عم النبي ﷺ ، فانضم إلى قريش وأعانهم
في تحالفهم ضد إخوته وبني إخته ..
فلما فعلوا فعلتهم الظالمة قال أبو طالب قصيدة
يعتب على قريش فيها تقطيعها الأرحام ، ويمدح النبي
ﷺ ، ويمدح أخلاقه ورسالته ، وحماية الله له ،
ويخبرهم أنهم لن يسلموا إليهم محمداً ﷺ ، حتى
ولو فتوا جميعاً من أثر المقاطعة الظالمة ، وماتوا من
الجوع ..

وقد استمر حصار النبي ﷺ وعشيرته ومن معه من
المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ، حتى
تعبوا وهزلوا من قلة الطعام ، لأنه لم يكن يصل إليهم
شيء من الطعام إلا سراً ، ممن أراد صلتهم من قريش ..
وقد كان حكيم بن خزام يرسل الطعام لعمة
خديجة رضي الله عنها التي كانت محاصرة في
الشعب مع رسول الله ﷺ ..

و ذات يوم لقي أبو جهل حكيم بن خُزام ومعه غلامٌ
يحملُ قمحاً ؛ ليُوصله إلى عَمَّتِه خديجة رضى الله
عنها فأمسك به وقال له :

- أتذهبُ بالطعام لبني هاشم ؟ والله لا أتركك أنت
وطعامك ، حتى أفضحك بمكة ..



فمرّ بهما أبو البختری ، فقال لأبي جهل :

— مالك وله ؟

فقال أبو جهل :

— يحمل الطعام إلى بني هاشم ..

فقال أبو البختری :

— طعام كان لعمته عنده ، بعثت إليه أن يأتيها به ،

فهل تمنعه ؟

فرفض أبو جهل ، فاشتبك معه أبو البختری ،
وأمسك عظمة بعير ، فضربه بها فشج رأسه ..

وبرغم الحصار الشديد كان رسول الله ﷺ مستمراً
في دعوة قومه ودعوة كل من لقيه من الناس إلى
الدخول في دين الله (تعالى) ..

وكانت قريش مستمرة في الاستهزاء برسول الله ﷺ ،
وفي الكيد له ..

وكان على رأس من يكيدون لرسول الله ﷺ

عمه أبو لهب ، وزوجته أم جميل ، التي
 سماها الله (تعالى) حمالة الخطب ؛ لأنها كانت
 تحمل الشوك وتلقيه في طريق رسول الله ﷺ ..
 فأنزل الله (تعالى) فيها وفي زوجها قوله (تعالى) :
 ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ
 وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ
 حَمَالَةَ الْخَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [سورة المسد]
 وحين سمعت أم جميل ما نزل فيها وفي زوجها من
 القرآن أخذت حجرا ، وذهبت إلى رسول الله ﷺ ،
 وهو في الكعبة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فلما
 اقتربت منهما لتقذف رسول الله ﷺ بالحجر ، أغمى
 الله (تعالى) بصرها عن رسوله ﷺ ، فلم تر إلا أبا
 بكر ، فقالت :

- يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني ،
 والله لو رأيته لضربت بهذا الحجر ، والله إني لشاعرة ..
 ثم قالت :

- مُذَمَّمًا عَصِينًا ، وَأَمْرُهُ أَبِينَا ، وَدِينُهُ قَلِينَا

(أبعضنا) .. ثم انصرفت ، فقال أبو بكر رضي الله عنه :

- يا رسول الله ، أما تراها رأيتك !؟

فقال ﷺ :

- « لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بَصَرَهَا عَنِّي » ..

وكان أمية بن خلف من صناديد الكُفَر الذين
يؤذون رسول الله ﷺ ، فكان إذا رآه سخر منه وهمزه
ولمزه ، فأنزل الله (تعالى) قوله :

﴿ وَيَلْ لَّكُلْ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا
وَعَدَدَهُ ... ﴾ [سورة الهمزة]

ولما ضاق كفار مكة ذرعاً برسول الله ﷺ ، اعترض
شيوخهم طريقه ذات يوم ، وقالوا :

- يا محمد ، هلم ، فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد
فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد
خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ،

وإن كان الذي نعبدُ خيراً مما تعبدُ ، كنت قد أخذت
بحظك منه ..

فأنزل الله سورة «الكافرون» ، للرد عليهم ..
وفي هذه الأثناء ، وبينما كان الرسول ﷺ ، وأصحابه
رضوان الله عليهم ، مُحاصرين في شعب أبي طالب ،



بلغ المسلمون المهاجرين إلى الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا جميعاً ، ففرحوا ، وعاد بعضهم إلى مكة ، لكنهم فوجئوا بأن أهل مكة ما زالوا على شركهم وكفرهم ..

ولم يستطع أحد منهم الدخول إلى مكة إلا مستخفياً عن قريش ، أو لاجئاً إلى جوار واحد من سادة قريش ، حتى لا يتعرضوا له بالأذى ..

واستمر الحال هكذا بالرسول ﷺ ، وأصحابه ، حتى رفض جماعة من قريش الظلم الواقع على بنى هاشم وبنى المطلب بسبب هذه الصحيفة الظالمة ..

وكان على رأس من قام لنقض الصحيفة هشام بن عمرو بن ربيعة .. وكان هشام ذا شرف في قومه ، وكان يرسل بالطعام لبنى هاشم في أثناء الحصار سرا .. فكان يأتي بالبعير ويحمّله قمحاً ، ويذهب به إلى المحاصرين في الشعب ليلاً ، فيطلقه إليهم ، ثم يعود ويحمّله طعاماً ، دون أن تدري قريش عن عمله شيئاً ..

ودهب هشام إلى زهير بن عاتكة بست
عبد المطلب ، فقال له :

- يا زهير ، هل رصيت أن تأكل الطعام ، وتلبس
الثياب ، وأحوالك مُحاصرون في شعب أبي طالب
لا يبيعون ولا يشترون ، ويهلكون جوعاً ؟
فقال له زهير :

- ماذا أصنع وأنا رجل واحد ؟ والله لو كان معي
رجل آخر ، لعملت على نقض هذه الصحيفة ، حتى
أقصها .

فقال له هشام :

- أما معك ..

فقال زهير :

- نريد رجلاً ثالثاً

فذهب هشام إلى المطعم بن عدى ، وقال له :

- يا مطعم ، هل رصيت أن تهلك قبيلتان من

بى عبد مناف ، وأنت شاهدٌ لذلك ،
وموافقٌ عليه ؟ !

فقال المطعم :

- فماذا أصنع ، إنما أنا رجلٌ واحدٌ ..

فقال هشام :

- أنا معك ..

فقال المطعم :

- نريد رجلاً ثالثاً ..

فقال هشام :

- معنا زهيرُ بنُ أبي أمية ..

فقال المطعم :

- نريدُ رابعاً ..

فذهب هشامٌ إلى أبي البختري ، فقال له مثلما قال
المطعم بن عدى ، فوافق على أن ينضم إليهم ، ثم
ذهب لرمعة بن الأسود ، فانضم إليهم ، فاجتمع

الْخُمْسَةَ وَتَعَاهِدُوا عَلَى نَقْضِ هَذِهِ

الصَّحِيفَةَ الظَّالِمَةَ .. وَذَهَبَ زَهِيرٌ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَطَافَ
بِهَا سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ، ثُمَّ تَحَدَّثَ إِلَى النَّاسِ قَائِلًا :

- يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، أَنَا كُلُّ الطَّعَامِ ، وَنَلْبِسُ الثِّيَابَ ،
وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يَبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ ۝ ١٩ ..
وَاللَّهِ لَنْ أَهْدَأَ حَتَّى تُمَزَّقَ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الظَّالِمَةُ ..

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :

- كَذَبْتَ ، وَاللَّهِ لَا تُمَزَّقُ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ ..



فقال زمعة بن الأسود :

- أنت والله أكذب .. ما رضىنا كتابة هذه الصحيفة ..

فقال أبو البختري :

- صدق زمعة ، والله لا نرضى ولا نقر بما كتب فيها ..

فقال المطعم بن عدي :

- نبرأ إلى الله من هذه الصحيفة ، ومما كتب فيها ..

وقد قال رسول الله ﷺ لعنه أبي طالب :

- « يا عم ، إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة

قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ،

ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان » ..

فقال أبو طالب :

- هل أخبرك ربك بهذا ؟

فقال ﷺ :

- « نعم » ..

فخرج أبو طالب إلى قريش ، فقال :

— يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى أن الله قد
سلط الأرض على صحتكم ، فلم تترك فيها إلا اسم الله ،
فإن كانت كما قال ابن أخى ، فانتهوا عن قطعنا ،



وانزلوا عما فيها ، وإن كان كاذباً دفعتُ
إليكم ابن أخى ، فافعلوا به ما بدا لكم ..
فقالوا :
- قد رضىنا ..

ثم قاموا إلى الصحيفة ، فنظروا فيها ، فوجدوا أن
الأرضة قد أكلتها ، فلم تترك فيها غير كلمتين هما :
« باسمك اللهم » ..

فمزقوا الصحيفة ، وانتهى حصارُ بنى هاشم وبنى
المطلب ، وانتهت قطعة قريش لهم ..

رقم الإنتاج : ٢٠٠٣/٥٥٥٥

(يتبع)

الترقيم القومى : ٢ - ٨٩٤ - ٢٦٦ - ٤٧٧

فصل الأنبياء

الكتاب التالى

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١٥)

الخروج إلى الطائف

• أحسن على أقبانه •